تأليف: أستريد ليندغرين • رسوم: بيا ليندنبا

ميرابل





Second Arabic edition

Original Swedish title: Mirabell
ISBN 978 91 85365 04 3
www.daralmuna.com

'This book has been donated to Palestinian schools through the Palestinian Ministry of Culture and the Palestinian Ministry of Education and Higher Education Program for developing Children's Literature/ Teachers Training Project. It was generously supported by the Swedish government through DIAKONIA."

بدعم من الحكومة السويدية, و من خلال مؤسسة دياكونيا, قدم هذا الكتاب هدية إلى المدارس الفلسطينية ضمن البرنامج المشترك لوزارة التربية و التعليم العالي الفلسطينية و وزارة الثقافة الفلسطينية لتطوير أدب الأطفال في المدارس الفلسطينية, مشروع تدريب المعلمين.

تأليف: أسترِيد ليندغرين • رسوم: بيا لينْدنباوم

ميرابل



النص العربي: إبراهيم عبد الملك

دار المنى

سأحكي لكُمُ الآنَ عن أعجبِ ما مَرَّ بي في حياتي كلِّها. حدثَ ذلك قبلَ سنتين، وكنتُ حينذاك في السادسةِ من عمري. أنا الآنَ في الثامنةِ.

إسمي بريتّا كايسا، لكنَّ هذا لا علاقةَ لهُ بحكايتي. نَسكُنُ أنا وأمي وأبي في كوخٍ صغيرٍ، صغيرٍ جداً، ولهُ حديقةٌ صغيرةٌ تُحيطُ بهِ. وكوخُنا وحيدٌ، فليس هناكَ أناسٌ آخرونَ يعيشونَ بالقربِ منا.

لكنَّ طريقاً ريفيةً صغيرةً وضيقةً تسير بِمُحاذاةِ كوخِنا، وفي نهايةِ هذه الطريق، بعيداً هناكَ، توجدُ مدينةٌ.

أبي مُزارِعٌ. وهوَ يذهبُ كلَّ أربعاءٍ وسبتٍ إلى تلك المدينةِ ليبيعَ الخضرواتِ والزهورَ في ساحتِها.







يحصلُ أبي على نقودٍ مقابلَ ما يبيعُهُ. لكنها ليست بالكثيرةِ. تقولُ أمي إنَّ من المستحيلِ أنْ تكفيَنا هذه النقودُ. في ذلكَ الوقتِ، قبلَ عامينِ، كنتُ أتمنى وبصورةٍ رهيبةٍ، رهيبةٍ، رهيبةٍ، الحصولَ على دميةٍ. اعتدت أحياناً على مرافقةِ أمي وأبي في أيامِ البيعِ بساحةِ المدينةِ، وهناكَ، داخلَ المدينةِ، عندَ الساحةِ، يقعُ محلٌّ لبيعِ لُعَبِ الأطفالِ. وكنتُ كُلَّ مرةٍ أقتربُ فيها من ذلكَ المحلِّ، أتوقَّفُ لأتَفرّجَ على كُلِّ تلكَ الدُّمى، فأَتمنى بلهفةٍ لو أنّ بإمكاني شراءَ إحداها. لكنَّ أمي قالت لي إن ذلكَ مستحيلٌ، لأننا كنا بحاجةٍ لِكُلِّ النقودِ التي يحصُلُ عليها أبي من بيْع الخضرواتِ، كي نشتريَ الطَّعامَ والملابسَ وغيرَها من الحاجياتِ الضروريةِ. فَهمتُ عندَها أنْ لا أمَلَ لي في الحصولِ على دُميةٍ، لكنني على أيةِ حالٍ لم أستطِع أنْ أكفَّ عن التمنّي.







اقتربتُ الآنَ كثيراً من ذلك الأمرِ العجيبِ الذي حدثَ. ففي يومٍ ربيعيٍّ قبلَ عامينِ، كانَ أبي وأمي قد ذهبا إلى المدينةِ ومعهما أزهارُ الربيعِ والبتولا. أما أنا فبقيتُ في البيتِ، لا أدري لماذا. وكم كانَ من حُسنِ حظي أنني بقيتُ في البيتِ. فَقُبَيلَ المساءِ، عندَ الغَسَقِ، خَرَجتُ إلى الحديقةِ كي أُنصِتَ لعلّي أتمكّنُ من سَماعِهما عندما يأتيانِ من أسفَلِ التلَّةِ.

كانتْ ليلةً عجيبةً. بَدَتِ الحديقةُ وكوخُنا والطريقُ، وهيَ تتلوّى كُلُّها، عَجيبةً جداً. أحسستُ بشيءٍ عجيبٍ يملأ الجوَّ، نعم، لا يُمكنني أن أشرَحَ كم كانتْ عجيبةً. وتماماً عندَ توَقّفي، لأنظرَ إلى أسفَلِ الطريقِ، سَمِعتُ صوتَ عربةٍ يجُرُّها حصانٌ تقتربُ. ففَرِحتُ كثيراً، لأنني اعتقدتُ أن القادِمَ أبي وأمي.



لم يكنِ القادمُ أبَوَيَّ، بل شيخاً عجيباً ضئيلَ الجسم، ظهرَ هناكَ عندَ المُنحنى راكباً عربةً. بقيتُ واقفةً داخلَ الحديقةِ ورأيتُ كيف أخذت العربةُ تقتربُ أكثرَ فأكثرَ. في النهايةِ انتبهتُ إلى نفسي وركَضتُ خارجَةً لأفتحَ البوّابَةَ للشيخِ، حتى لا يُضطَرَّ للنزولِ عن عربتِهِ، كما إنَّ البوّابةَ قريبةٌ جداً من مَسكَنِنا وأنا مُعتادَةٌ على فتحِها لمن يأتي راكِباً من العابرينَ، وكنتُ أحياناً أكافأُ بقطعةِ نقود. عندما فتحتُ لذلكَ الشيخِ العجيبِ، شعرتُ ببعضِ الخوف، فقد كنتُ وحدي تماماً، وبيني وبينَ الناسِ الآخرينَ مسافةٌ طويلةٌ، ولا أعلمُ أطيّبٌ ذلك الشيخُ أم لا. لكنَّهُ بدا طيباً. وحينَ عَبَرَت العربةُ البوابةَ، أوقفَ الشيخُ الحصانَ، التفتَ إليَّ وضحكَ، ثمَّ قالَ:

ـ"إنَّكِ تستحقّينَ قطعةً من النقود لفتْحكِ البوّابةِ.

لكنّني لا أملكُ نقوداً، لذا سأعطيكِ شيئاً آخرَ

بدلاً عنها. مُدّي يدَكِ!"

فَعلتُ ذلكَ. عندَها وضعَ الشيخُ العجيبُ بذرةً

صفراءَ صغيرةً في يدي. كانت تلمَعُ مثلَ الذَّهَبِ.





ـ"إزرَعي هذهِ البذرةَ في حديقتكِ واسْقيها بعنايةٍ يومياً لِترَيْ ما يَسُرُّكِ.." قال الشيخُ لي.

ثُمَّ فَرْقَعَ سَوطَهُ، وخلالَ فترةٍ قصيرةٍ اختَفَت العربةُ، ولم يعُدْ بإمكاني رؤيتها.

لكنني بقيتُ واقفةً مُدَّةً طويلةً، أسمعُ صوتَ العجلاتِ وهي تدورُ، والحصانَ راكضاً في المدى.. كم كانَ ما جرى بأكملِهِ عجيباً.



أخيراً، ذهبتُ إلى جُنَينتي
الخاصّةِ خلفَ الكوخِ،
وهناكَ زرعتُ البذرةَ
التي أعطانيها الشيخُ.
ثُمَّ ذَهبتُ أبحثُ عن
إبريقيَ الأخضرِ الصَّغيرِ
وبدأتُ أسقي، بعنايةٍ، المكانَ
الذي تَقبَعُ فيهِ بذرتي.

بعدَها ولِمُدَّةٍ طويلةٍ، داومتُ على الذهابِ يومياً لأسقي وكمْ كانَ
فضولي عظيماً لأعرفَ ما سيخرُجُ منَ البذرة.
فكَّرتُ أنهُ قد يكونُ شُجيْرةَ وردٍ أو شيئاً
جميلاً آخرَ. لكنني لم أُخَمِّنْ أبداً،
أبداً، ما ذاك الذي ينمو هناكَ فعلاً.





في أحدِ الصباحات، حين ذهبتُ
لأسقي كعادتي، رأيتُ شيئاً
أحمرَ ينبثقُ من الأرضِ، قطعةً
صغيرةً جداً من شيءٍ أحمر.
وكانَ الشيءُ الأحمرُ يصبحُ
أكبرَ فأكبرَ مع كلّ يومٍ يمرُّ،
وفي النهايةِ صارَ بإمكاني
أن أرى ما هوَ. وهل تعرفونَ
ما كانَ؟ قُبَّعةُ دمىً صغيرةٌ حمراءُ.
والقبَّعَةُ على رأسِ دُميةٍ بالفعلِ.

نعم، كانتْ دُميةً تنمو
رُوَيداً رويداً في أرضِ
جُنيْنتي. أليسَ ذلكَ عجيباً؟
ولا تتخيَّلون كم سقيتُ وسقيت!
كنتُ أسقي صباحاً، ظهراً ومساءً،
حتى قال لي أبي وأمي:





ــ" يا طفلَتَنا الحبيبةَ، كم تسقينَ وتسقينَ!
إنَّ الفِجلَ لا يحتاجُ كُلَّ هذه الكمّيّةِ
من الماءِ.."
لكنَّهما لم يذهبا إلى هناكَ ليتفرّجا،
فَجُنينتي تقعُ جانباً في الظلِّ.
وفي أحدِ الصباحاتِ صارَ بالإمكانِ
رؤيةُ رأسِ الدميةِ بأكمله.
كانتْ دميةً شقراءَ، ولم تزلْ
عيناها مُغمَضتينِ بعدُ.



كانتْ أجملَ دميةٍ رأيتُها في حياتي.
لها شعرٌ مُجَعَّــدٌ أشقرُ، تحتَ تلكَ
القُبَّعَةِ الحمراءِ، ووَجنتانِ صافيتانِ،
وفمٌ أحمر.





خلالَ فترةٍ بسيطةٍ، نما الجسمُ كلُّه.
آهٍ ما أجملَها بثوبِها الأحمرِ، وهوَ مِنْ
قماشِ قُبَّعَتِها نفسه. عندما كبرت الدمية
وظهرتْ ركبتاها، طلبتُ من أمي وأبي
أن يأتيا ليشاهدا ما ينمو في جُنَيْنتي.
كانا حتماً يظنّانِ أنَّه ليس سوى فجلٍ أو
سبانِخ، لكنّهما أتيا على أيةِ حالٍ،
ولم أرَ في حياتي شخصاً مذهولاً
مثلَ أمي وأبي عندما شاهدا الدُّميةَ.
لقد بقيا واقفينِ مُدَّةً طويلةً وهما
يُحَدِّقانِ فقط. قالَ أبي:
ــ"لم أرَ في حياتي أبداً مثيلاً لهذا!"
وتساءلَتْ أمي:
ــ"كيفَ يمكن لهذا أن يُعقَلَ؟!"
ــ"إنَّه معقولٌ، لأنني زرعتُ بذرةَ دميةٍ هنا." قُلتُ لهما.
فقالَ أبي إنَّهُ يتمنّى لو أنَّهُ يملِكُ كيلو غراماً واحداً
من بذورِ الدُّمى تلكَ، فيَتَمَكَّنَ من بيْعِ الكثيرِ من الدُّمى
في ساحةِ المدينةِ، ويجنيَ من المالِ أكثرَ ممّا يجنيهِ
من بيْعِ الفجلِ. وبقيَ أبي وأمي يفكِّرانِ في الأمرِ
ويَتساءلانِ طوالَ اليومِ.



وتخيلوا، في صباحِ يومِ أحدٍ، عندما خرجتُ لأسقيَ جنينتي، كانت الدميةُ قد اكتملَ نموُّها. وجدتها لابسةً جورباً جميلاً أبيضَ، وحذاءً جلدياً صغيراً أبيضَ في قدميها. جلستُ على الحشيشِ كي أتمكَّنَ من التطلُّعِ إلى جمالها عنْ قُرب. وعندَها ــ عندَها فقطْ ــ فتَحتْ عينيها ونَظَرَتْ إلَيَّ. عيناها زرقاوانِ، تماماً كما توَقَّعتُ. لم أرَ في حياتي دميةً رائعةً مثلَها، ولم أستطِع منعَ نفسي من أن أُربِّتَ عليها قليلاً. وفي تلكَ اللحظةِ انكسَرَتْ عِندَ الجذرِ، نعم، فقد كان لها جذورٌ تحتَ قدميها. فَهِمتُ من ذلكَ أنني صار بإمكاني أخذُها.

ولقد فَعَلتُ. ركضتُ فوراً لأعرضها على أمي وأبي، بعدَها أخذتُها معي إلى غرفتي وهيَّأتُ لها سريراً في غطاء ماكنة الخياطةِ الخاصةِ بأمي، لأنني لا أملكُ سريرَ لُعَبٍ من أجلِها. ولَعِبتُ معها طوالَ اليومِ. كنتُ سعيدةً إلى حدٍّ أنني لم أستطع تناولَ الطعامِ، وأسميتُها مارغريتا.











وعندما حلَّ الليلُ، هَيَّأتُ بعنايةٍ سريرَها
في غطاءِ ماكنةِ الخياطةِ، وقلتُ:
ـ"تُصبحينَ على خيرٍ يا مارغريتا."
إنما هل تتخيَّلونَ ما حدَثَ لَحظَتَها؟ إيه..
لحظَتَها فَتَحَتِ الدُّميةُ فَمَها وقالتْ:
ـ"إسمي ليسَ مارغريتا، مِنْ أينَ أتيتِ
بهذا الإسم؟ إسمي ميرابِل."
هل تتصوَّرونَ؟ بإمكانها الكلامُ! كانت
تتكلمُ وتُدَمدِمُ كطاحونةٍ حقيقيةٍ صغيرةٍ،
أما أنا فبلغتُ من الدهشة ما جعلني لا
أكادُ أقوى على الكلامِ إطلاقاً. قالت إنها
تريدُ سريراً حقيقياً وثوبَ نومٍ. ثُمَّ قالت
إنها أحبَّتني كثيراً جداً، وإنها تَوَدُّ لو
أصبح أمّاً لها.
ـ"لكنْ لا تُحاولي أبداً إعطائي حساءً.."
قالتْ لي، "لأنني لا أحبُّ الحساءَ."
أحسستُ أنني بحاجةٍ للتفكيرِ، لذلك اندسَسْتُ في سريريَ مُستَلقيَةً
بصمتٍ. كانت ميرابل صامتةً هيَ الأخرى. لكنني عرفتُ سببَ
صمتِها. كانتْ، ولا تَظُنّوا أنني أبالغُ، تُحاولُ تَسَلُّقَ الخزانةِ، ولقد
قَدِرَتْ على ذلك بالفعلِ. وحينَ وصلَتْ إلى أعلى الخزانةِ، قَفَزَتْ
نحوَ السريرِ، أعني غطاءَ ماكنةِ الخياطةِ. فَعَلَتْ ذلكَ عِدَّةَ مرّاتٍ
وهيَ تضحكُ مبتَهِجةً، وقالتْ:
ـ"إن ذلكَ مُمتِعٌ جداً كما ترينَ!"





بَعدَ فترةٍ قصيرة، تَقَدَّمَتْ
نحوَ سريري. أمالتْ رأسها
وقالتْ:
ـ"أتَسمَحينَ لي أن أصعدَ وأنامَ
عندَكِ؟ ألَستِ أمي الآن؟"

رَفَعتُها إلى سريري، فاستَلْقَتْ هناك وبَدَأتْ تُثَرْثِرُ. كانَ مُجَرَّدُ الإستماعِ إليها مُتعَةً كبيرةً جداً. كنتُ سعيدةً جداً بميرابل، لم أشعُرْ بسعادةٍ كهذهِ طيلةَ حياتي. وتوَقَّفَتْ أخيراً عن الكلامِ. تثاءبَتْ عدةَ مراتٍ ــ وكم بدتْ حُلوَةً عندما تثاءبَتْ ــ ثُمَّ ضَمَّتْ نَفسَها ووَضَعتْ رأسَها على ذراعي، وغَفَتْ. لَمْ أُفَكِّرْ لَحظةً في إبعادِها عن ذراعي، فَبَقِيَتْ نائمةً هكذا طوالَ الليلِ. بينما استلقيتُ أنا مستيقظةً مُدَّةً طويلةً ــ طويلةً جداً، أسمعها وهي تتنفَّسُ في الظلامِ..



حينَ صَحَوتُ في الصَّباحِ، كانتْ ميرابل قَدْ تَسلَّقَتِ الطاولَةَ الصَّغيرةَ التي بجانبِ سريري، وكانَ عليها قدَحٌ بِهِ ماءٌ، فَكَبَّتْ ميرابل الماءَ كُلَّهُ. ثُمَّ ضَحِكَتْ وقَفَزَتْ نازلةً إلى غطاءِ ماكنةِ الخياطةِ. وفي اللحظةِ التاليةِ بالضبطِ، دَخَلَتْ أمي لِتوقِظَني، عندَها كانتْ ميرابل مُستَلقيةً هناكَ، وقدْ بَدَتْ كأيَّةِ دُميَةٍ عاديةٍ.



مضى عامانِ الآنَ منذُ حصَلتُ على ميرابل. ولا أظنُّ أن في العالمِ كُلِّهِ فتاةً تمتلكُ مثلي دميةً رائعةً مثلَ ميرابل. وهي طبعاً لا سيطرةَ لأحدٍ عليها، هذا أكيدٌ. لكنني أحبُّها كثيراً جداً على أيةِ حالٍ. لا أحدَ سوايَ يعرفُ أنها تستطيعُ الحديثَ والضحكَ والأكلَ، تماماً كأي إنسانٍ طبيعيٍّ. وعندما تكونُ أمي أو يكونُ أبي على مَقربةٍ، فإنها تُحَدِّقُ جامدةً في الهواءِ فلا يبدو عليها أنها حيةٌ أبداً. أما عندما نكونُ وحدنا ــ الله، الله، الله ــ عندَها فعلاً، نقضي وقتاً مُمتِعاً.

ميرابل تعشَقُ الكعكَ. وعندي شوّايةُ لَعِبٍ صغيرةٌ، لذا أخبزُ لها الكعكَ كُلَّ يومٍ. أمي تظنني أتظاهرُ كما لو أنَّ ميرابل تأكلُ. لكنها تأكلُ فعلاً. حتى أنها عضّتْ إصبَعي مرةً، لكنَّ ذلك ليس عن قصدٍ طبعاً.







صَنَعَ أبي سريراً خشَبياً لميرابل، حتى لا تُضطَرَّ للنومِ في غطاءِ ماكنةِ الخياطةِ. وخاطتْ لها أمي شَرشَفاً ولِحافاً. وخِطتُ أنا لها ثوبَ نومٍ جميلاً والكثيرَ من الملابسِ، منها ثوبٌ ورديٌّ جميلٌ . وكم تشعرُ ميرابل بسعادةٍ كلما حصلت على شيءٍ جديدٍ. إني ألعبُ معها طوالَ النهارِ في الخارجِ عندما يتوَجَّبُ عليَّ أن أساعِدَ أبي في الاعتناء بالحديقةِ.

وكُلَّما سمعتُ صوتَ عربةٍ على الطريقِ، أذهبُ مسرعةً نحوَ البوّابةِ كي أرى فيما إذا كانَ ذلكَ الشيخُ العجيبُ هو القادمَ. أريدُ أن أشكرَهُ كثيراً لأنهُ أعطاني أجملَ دُميةٍ.

لكنَّهُ لا يأتي أبداً.

هل تريدونَ رؤيةَ دُميَتي الرائعةَ ميرابل؟ تعالوا وزوروني، كي تروها.عليكم فقط أن تتبعوا الطريقَ الصغيرةَ الضيِّقة المؤدية إلى كوخنا.

وأنا أعِدُكُم، أن أقفَ بانتظاركم عندَ البوابةِ، ومعي ***ميرابل***.





تحصلُ بريتّا كايسا

على بذرةٍ صغيرةٍ تلمعُ مثلَ

الذهب. "إزرَعي هذهِ البذرةَ في

حديقتك واسقيها بعنايةٍ لِترَيْ ما يَسُرُّك.."

ومن تلك البذرة الذهبية نَمَتْ دميةٌ وكَبرتْ.

كانت الدميةٌ تشبهُ تماماً ما تمَنَّته بريتّا كايسا

دائماً. وكان اسم الدمية

ميرابل.

قصةٌ ساحرةٌ أخرى لأستريد ليندغرين

رسمت لوحاتِها بيا ليندينباوم

ونقلها إلى العربية إبراهيم عبد الملك

تقدمها وللمرة الأولى دار المنى

للقارئ العربي

دار المنى